كي تقرّ عينها..

لا تذهبي وتأتي بمفردكِ يا رواء، مُري على زهراء واذهبا معًا، حبيبتي ما زلتِ فتيّة ولا تعرفين التجديف في هذا الخضمّ المتلاطم،أرجوك لا تخرجي وحدك!

هل تعلمين ما يجري في الخارج، الحياة لم تعد كما في السابق، والناس كذلك تغيروا الاخلاق مُحقت في هذا الزمان يا صغيرتي لذا لا تفجعي والدتكِ يومًا.

كانت هذهِ آهات أم رواء وهي ترى ابنتها الوحيدة تحاولُ التخلي عن هويتها والانجرار وراء رفيقاتها الثريّات في المدرسة.

رواء الإبنة الوحيدة لأمها، وقد توفيَ والدها بنوبةٍ قلبية بعد ولادتها بسنتين؛ لذا حرصت والدتها أن تحتضنَ ابنتها روحيًا وتجسدَ لها حنانَ الأب والأم معًا ولكن على ما يبدو أنه رغمَ ذلك إلا أن رواء كانت تشعرُ بالنقص.

وسرعان ما التحقت رواء بالمدرسة وذلك الجوّ الذي لا ينجو منه إلا اللبيب فكيف بفتاةٍ يتيمةٍ متمردة على أمها؟

لذا ما إن خطت أولى خطواتها في المدرسة حتى شعرت بالنقص الروحي والماديّ الهائل وهي ترى رفيقاتها اللواتي يرتدينَ ملابس باهضة الثمن وتحيطهن الأناقة من كل جانب حتى في العطر!

كانت تجلسُ في آخر الصف وهي تبحلقُ في هذا الثراء الفاحش بنظرها لأنها لم ترَ مثل ذلك سابقًا فوالدتها لم تملك شيئًا سوى ما يرسلها لها الحاج أبو علي المسؤول عن أحد المساجد القريبة وهو عادةً لا يسدُ النقص كله إلا الأشياء اللازمة كالطعام والكهرباء.. إلخ.

ومساءً عندما تعود رواء من المدرسة تستقبلها والدتها بنصفِ ابتسامة وهي تخفي وراء ابتسامتها خوفًا من ذلك الجوّ المشبوه خارجَ أعمدة هذا البيت، ولكنها رأت رواء هذهِ المرة بملامحَ مختلفة

عمّا في السابق، استفهمت عن السبب فلم تجبها لذا حبذت الصمت وتأخير السؤال إلى الليل ريثما يخفُ ارهاقُ صغيرتها.

حلّ المساء وبعدَ أن أكلا الطعام معًا، جلست الوالدة إلى صغيرتها رواء واستفهمت عن ما حدثَ مجددًا.

فأجابت رواء: أمي لماذا نحنُ فقراء؟

أجابتها الوالدة الصابرة: ومن قالَ لكِ ذلك؟، الفقرُ يا بُنيتي ليسَ في المال، الفقيرُ هو الذي لا يملكُ الأخلاق.

قالت رواء بنبرةٍ حادة :أمي لقد مللتُ من كلامكِ هذا، لماذا تحاولين إخفاء الحقيقة عنّا؟ لماذا لا تعترفي بفقرنا؟ لماذا يا أمي؟ ألسنا نعيشُ على هبات الناس؟ رحم الله أبا علي لولاه لمتنا جوعًا أليس كذلك؟ هيا قولي لي.

بعد هذا الهجوم المفتعل نهضت الوالدة بصمت وقلبها يتمزقُ حزنًا، أدارت وجهها ناحيةَ الخارج والدموع تتلألأ في محاجرها.

أشارت بطرفها إلى السماء قائلة:

رباه يا غوثاه يا منتهى غاياته هبني صبرًا يا الله.

في صباح اليوم التالي جاءت زهراء إبنة الحاج علي وهي زميلة رواء في الصف ولكن رواء لا تحبذها فهي تراها نسخة طبقَ الأصل عن والدتها كلاهما يملكان ذات الكلمات المكرورة في نظرها.

ألقت زهراء التحية فأطرقت رواء رأسها وردت التحية وسارت معها على مضض.

وفي الطريق قالت زهراء ببراءة: أتدريت يا رواء أن عيناكِ جميلتان وإني لأغبطك عليهما ليتَ لي مثلهما.

نظرت رواء بطرف عينيها الخضراوان وهي تقول بنبرة شبه مصدقة :حقًا؟

زهراء: بلى، ولديكِ شعرٌ أشقرٌ جميل أيضًا.

رواء: ولكن طالبات الصفّ أجملُ منّي هنّ يرتدينَ ما لا نحلمُ بهِ يا زهراء.

زهراء: ولكن في ذات الوقت هنّ لا يملكن ذلك الجمال الذي تملكينهُ أنت وربّما يحسدنك على ذلك.

ضحكت رواء وقالت ساخرةً: يحسدنني، كم أنت بلهاء وعلى ماذا يحسدنني؟

زهراء: حبيبتي رواء ليس الملبس والمظهر الخارجيّ هو الدال على سعادة الأنسان، قد يعاني الإنسان من مرضٍ ينسى معه إسم السعادة أو قد يعاني من ضغوطات الحياة ..إلخ.

ونحن علينا أن نحمد الله أننا أصحاء أولًا، ثانيًا نخرجُ ونعودُ آمنين ليس هنالك من شيء يخيفنا، ثالثًا للآن لم نفوّت ولا وجبة طعامٍ واحدة، رابعًا حتى مظهرنا وحالتنا المادية ليست بذلك السوء فنحن أفضلُ من كثيرين من سكان منطقتنا وأنتِ تعرفين ذلك.

رواء: الحمدُ لله.

وبعدَ انتهاء الدوام خرجنَ معًا وابتدأن بالحديث عن الامتحانات النهائية فقد تم إعلان الجدول قبل يوم.

رواء : بعدَ غدٍ ستبدأ الامتحانات ماذا سأفعل ولدي الكثير من الأمور لم أفهمها ..وليس لدينا المال كي أسجل في الدورات الخصوصيّة كبقية صديقاتي.

زهراء: لاعليكِ رواء، سنقرأ سويًا وما أعرفهُ سوف لن أبخل به عليك، وما تعرفيه أنتِ أتمنى أن تشاركيني إياه وهكذا نتبادل المعلومات بدون هدرٍ للأموال؟ ماذا تقولين.

رواء: حسنًا، ولكن صدقيني لن نفهم كما لو سجلنا في الدروس الخاصّة.

زهراء : أعلم يا رواء ولكن هذا ما بأيدينا الآن ليس لنا خيارٌ ثانٍ.

اتفقتا على موعدِ دراستهما وهو ساعتين من كل يومِ أحداهما صباحًا والأخرى مساءً. كانتا تدرسان معًا مساءً وتذهبان للمدرسة لأداء الامتحان عند الصباح وحين الرجوع يأخذان قسطًا من الراحة ويدرسان ..وهكذا.

انتهت الامتحانات وانتهت معها سنة دراسية كاملة بحلوها ومُرها، كانت رواء تترقب إعلان النتائج بخوف.

وبعد أسابيع طُرق باب البيت فهرولت رواء تتقصى عمّا في الخارج فإذا بها زهراء وهي تقفزُ فرحًا وتقول: رواء هل تعلمين ماذا حصل؟

رواء : لا، أخبريني ماذا؟

زهراء : لا، لن أخبرك إلا بشرطٍ واحد.

رواء : وماهو الشرط قولي، أعصابي ستنفلتُ من شدة الترقب لما ستقوليه هيا أخبريني.

زهراء : الشرط هو أن تأتي أمكِ معنا إلى حيثُ سآخذكِ.

رواء :حسنًا قبلت، ولكن قولي إلى أين سنذهب؟.

زهراء : ما بكِ يا رواء سنذهبُ إلى المدرسة لاستلام نتائجنا، أنسيتِ أن اليوم هو يومُ إعلان النتائج؟.

رواء : أوووه حقًا كيفَ نسيت ذلك؟

زهراء: قبلَ قليل جاء والدي برفقة مدير المدرسة وكان قد أخبره بنتائجنا كلينا، إحزري يا رواء من هي الأولى على صفّنا؟

رواء: ربّما أنتِ، ولذا تبدين فرحة.

زهراء: لا، الأولى هي فتاة متذمرة لطالما كانت تستهين بقدراتها وترى أن كل شيءٍ هو المال وكانت تقول أننا لن نفلحَ أبدًا إلا إذا سجلنا في الدورات الخصوصيّة كباقي الفتيات.

ثم غمزت زهراء عينها قائلة: هل عرفتِ من هي؟ إنها أنتِ يا رواء.

رواء: يااه، هل من المعقول، لا أصدق هل تعين ما تقولين يا زهراء رباااه هل حقًا أنا الأولى؟

زهراء: مباركٌ لك يا رواء.

رواء: وأنتِ ماهي نتيجتكِ.

زهراء: أنا حصلتُ على المستوى الثاني.

رواء: عظيم، بالرغم من أننا لم نأخذ دروسًا إضافيّة فقط ما تعلمناه في المدرسة.

زهراء: والآن هل توافقيني أن صديقاتنا في الصف سوف يحسدننا أم لا؟

ضحكت رواء وقالت: بلى، كنتُ أظن المال كل شيء، والآن فهمتُ أنه لا يعادلُ شيئًا أمام سعادتي بتفوّقي.

وما إن وصلت زهراء ورواء وأمها إلى المدرسة حتى استقبلتهما المديرة بكل ترحاب وأجلستهما في غرفة الإدارة، ثم نهضت وجلبت ظرفًا أعطتهُ لرواء وطلبت منها أن لا تفتحهُ إلا حينما تصلُ إلى البيت.

كانت رواء تمشي مسرعةً طوال الطريق لتصل إلى البيت وتفتحَ الظرف ذاك.

وأخيرًا وصلت وطلبت من أمها أن تفتحهُ بدلًا عنها وما إن فتحتهُ الوالدة حتى احتظنت ابنتها قائلة إنه مبلغٌ من المال يكفينا لفترة طويلة.

يا رواء سأشتري لكِ كل ما تودين.

بكت رواء قائلة: أماه أنا لم يعد يهمني المال، هل تصدقين أن اليوم كنتُ قد تعلمتُ درسًا لن أنساه أبدًا وكما تقولين دومًا "المهم أننا سعداءٌ في حياتنا"، والأهم أنني أنعمُ بالأمان لوجودكِ قربي.